مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (36) العدد (4)2014
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (36) No. (4) 2014

النرجسية وصورة الآخر في شعر عمر بن أبي ربيعة

الدكتور أحمد ياسمين*

(تاريخ الإيداع 13 / 3 / 2014. قبل للنشر في 10 / 7 / 2014)

□ ملخّص □

يهدفُ هذا البحث إلى التعرّف على شاعرٍ عاشَ العصرَ الأمويَّ، في كنفِ أسرةٍ موفورةِ المالِ،ومقرَّبةٍ من البلاطِ الأمويِّ، وفي تحديدِ الهدفِ؛ يحاولُ البحثُ تحليلَ النّصّ الشّعريّ لديه وتسليطَ الضّوءِ على أبرزِ ملامحِ إبداعِهِ الشّعريّ ودراسة ذاتِه الإنسانيّةِ لأنّها بمنزلةِ المحرِّك والدّافع لأيِّ إبداعٍ إنسانيٍّ ، وصِنوها في الحياةِ وهو الآخرُ

وهنا يعمدُ البحثُ إلى فصلِ أبرزِ الملامحِ الذّاتيّةِ، عندَ شاعرٍ مشهورٍ كعمرَ ، الّذي شكَّلَ حالةً فريدةً في ساحةِ الإبداعِ الأدبيِّ الشّعريِّ، من خلالِ زعامتهِ شعراءِ الغزلِ في عصرِه، وريادتهِ في الغزلِ الصَّريحِ ، وتجبُ الإشارةُ إلى أنّنا نريد مصوّرةَ الآخرِ في شعرِ عمرَ بن أبي ربيعةَ في هذه الدِّراسةِ، صورةَ المرأةِ، وهذه الصّورةُ تقاربُ إلى حدٍّ كبير صورتَها لدى أكثر الشّعراء ، لكنَّها تتلوَّنُ في شعرِ عمرَ، لنجدَ العفيفةَ والعاشقةَ والمتمرِّدةَ المتفلِّتةَ من القيودِ.

الكلماتُ المفتاحيَّةُ: النرجسية ، الذات ، الآخر ، مجون ، غزل ، تمردّ

* مدرّس – قسم تعليم اللغة العربية – المعهد العالي للغات – جامعة تشرين – اللاذقية – سورية .

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (36) العدد (4)2014
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (36) No. (4) 2014

Narcissism and the Image of the Other in Omar Bin Abi Rabee'a's Poetry

Dr. Ahmed Yasmeen*

(Received 13 / 3 / 2014. Accepted 10 / 7 / 2014)

□ ABSTRACT □

This study aims at analyzing the poetic content of the poetry of an Omayyad poet who was born to a wealthy family which was so close to the Court. The objective of the study is to shed light on one of the most salient features of literary creativity and literary masterpieces-whether poetic or prose- which is the human essence that stimulates human creativity and the doublet of this essence, that is the Other.

This study attempts to identify the most prominent subjective features in the poetry of Omar as a famous poet who became a phenomenon in the field of poetic and literary creativity through mastering flirtation poets and poetry in his era. It should be mentioned that the image of the Other in Omar's poetry examined in this study is the image of woman which considerably resembles that image presented in the work of the majority of other poets. However, this same image varies in Omar's poetry. Woman is represented as the chaste, beloved, and the rebellious.

Keywords: narcissism, subjectivity, otherness, flirtation, infatuation, chastity, rebellion

***Assistant Professor, department of Arabic language teaching, Higher Institute of Language Teaching, Tishreen University, Lattakia, Syria.**

مقدّمة :

الأدبُ هو تعبيرٌ عن المشاعر والأفكار والآراء الإنسانية الخالدة، وله تأثيره المباشر على الحياة، فلا يمكن للأديب أن يقدِّم أفكاره ومشاعره، بمعزلٍ عن أحداثِ مجتمعه ومواقفه وعلاقاتِهِ، ومن خلالِ أدبهِ " يعكسُ فهمهُ للمجتمعِ أو رفضه له، فالأديب يتّخذ لنفسه دائماً موقفاً فكريّاً من مجتمعه "[1]، والأديبُ قبلَ كلِّ صفةٍ، إنسانٌ ذو شخصيّةٍ متميّزةٍ، بجوهرها وحدودها وإمكانيّاتها، وهوَ يمتلكُ تجاربَ ذاتيّةً كوّنت شخصيَّتهُ بفضلِ سعيهِ في هذا الوجودِ بينَ بيئةٍ ومجتمعٍ، وهوَ في تعبيرهِ الفنِّيّ وإبداعهِ الأدبيِّ، إنّما يعبّر عن نفسهِ وخلجاتِها، وهذا يعني فيما يعنيهِ أنّ الإنسانَ الفنّان، هو مضمونُ فنّهِ، وفنُّهُ فيضٌ تلقائيٌّ من ذاته، التي هي في النّهايةِ حصيلةُ تفاعلٍ جدليٍّ بينها وبينَ ذواتِ الآخرينِ، ولذا فإنَّ صورةَ الذّاتِ، هي النّتيجةُ التي سعى البحثُ لرسمها، من خلالِ شاعرٍ بارزٍ من فحولِ الشّعرِ في العصرِ الأمويِّ ومؤسِّسُ مدرسةِ الغزلِ الصَّريحِ وهوَ أبو الخطَّاب عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة حذيفة بن المغيرة من بني مخزوم بن يقظة بن مرَّةَ[2].

إنَّ المحاولةَ الكامنةَ في الرّبطِ بين سيرةِ الأديبِ ونتاجهِ قريبةُ العهدِ، إذ تمتدُّ جذورُها التّاريخيّةُ إلى القرنِ التّاسعِ عشر، فقد ظهرَ هذا الاتجاهُ بنموٍّ ملحوظٍ في فرنسا وسمِّي النّقد السّيريّ، فمن خلالِ الإبداعِ الأدبيِّ، نتمكّن من الوقوفِ على فكرِ المبدعِ، وعواطفهِ وخيالاته على نحوٍ متميّزٍ[3].

ومع بداياتِ القرنِ العشرين ظهرَ علمُ النّفسِ التّحليليِّ، واكتُشف اللّاشعور وانعكاسه على الكتابةِ الأدبيّةِ، وصلةُ ذلك بالخبراتِ المؤلمةِ وكبتها، حتّى إنّ بعض الدّارسين يرى أنّ العملَ الأدبيَّ، إفرازٌ مقنّعٌ لعصابِ الشّخصيّةِ، وعليهِ فقد برزَ اتجاهٌ نقديٌّ مكثّفٌ هو النّقدُ النّفسيُّ[4].

ومجملُ القولِ؛ إنَّ النّفسَ البشريّةَ من السَّعة البالغةِ، إذ إنّها تضمّ في طيّاتها أسراراً بالغةَ الأهميّةِ، لا يمكن التّكهُّنُ بها بسهولةٍ، فهي كانت وما زالت، موضوعاً لحالاتٍ فكريّةٍ وعاطفيّةٍ شديدةِ التّعقيدِ، عبّرَ الشّعرُ عن مكوّناتها على مرِّ العصورِ بقصائدَ مختلفةٍ بمبانيها وألفاظِها وشكلِها .

أهميَّةُ البحثِ وأهدافُه :

يهدفُ البحثُ إلى تقصّي بعض الملامح الذّاتيّة لشخصيّةٍ إشكاليّةٍ كبيرةٍ، حملت في داخِلها تناقضاتٍ كثيرةً، شاعرٌ عاشَ حياةَ التَّرفِ والرَّفاهيَّةِ لانتمائهِ إلى أسرةٍ قريبةٍ منَ البلاطِ الأمويِّ، ما جعلها تعيشُ حالةً من التّجاذباتِ النّفسيَّة العديدةِ، كلُّ ذلكَ وأكثر، يتمُّ استنباطهُ اعتماداً على معطياتِ المنهجِ النّفسيِّ، وتقاناتهِ في دراسةِ الأدبِ.

---

1 – إسماعيل، عزّ الدّين ، الأدب وفنونه ، دراسة ونقد ، دار الفكر العربي ،ط6 ، 1976 ص 42 .

2– ينظر في: الأصفهاني أبو الفرج الأغاني ، تحقيق د.إحسان عبّاس، د.إبراهيم السّعافين، الأستاذ بكر عباس، المجلّد الأوّل ، ص 62 دار صادر بيروت لبنان ، ط1 ، 1423هـ، 2002م، وانظر في عمر بن أبي ربيعة ، ديوانه قدم له ووضع هوامشه د. فايز محمد: صـ7 الطبعة الثانية ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان ، 1416 هـ 1996م.

3 . ينظر : حمود، د ماجدة ، علاقة النَّقد بالإبداع الأدبيّ . منشورات وزارة الثّقافة في الجمهوريّة العربيّة السوريّة، 1997 ، ص15.

4 – ينظر : البستاني ، د. محمود ، الإسلام والأدب ، المكتبة الأدبية المختصة ، قم ، إيران ، 1422هـ ، صـ 299.

منهجُية البحثِ :

اعتمدتِ الدّراسةُ منهجَ التّحليلِ النّفسيِّ، في سعيِها للبحثِ عن أبرزِ ملامحِ الذّاتِ الإنسانيّةِ، واستنباطِ الملامحِ النّفسيّةِ والشّخصيّةِ، من خلالِ البحثِ والتّفتيشِ عنها اعتماداً على مقطوعاتٍ شعريّةٍ، منتقاةٍ من قصائدِ عمرَ بن أبي ربيعةَ على نحوٍ يخدمُ الهدفَ من استحضارِها، وتأكيدِ الحالةِ، وإثباتِ ما تذهبُ إليهِ الدّراسةُ تحليلاً واستنتاجاً .

التّمهيد:

بادئَ ذي بدءٍ تجدر الإشارةُ إلى أنّنا نقصد بصورة الآخر في شعرِ عمرَ بن أبي ربيعةَ في هذه الدِّراسةِ، صورةَ المرأةِ، وهيَ تقارب إلى حدٍّ كبيرٍ صورةَ المرأةِ لدى أكثرِ الشُّعراءِ، بل إنَّ المثالَ واحدٌ وصورهُ متعدِّدةٌ، ويبدو ذلكَ في أوصافِ المناظرِ الحسنةِ والوجوهِ النَّيِّرةِ، والمحاسنِ الرَّائعةِ المعجِبَةِ، والصُّورِ المليحةِ الأنيقةِ، وحسنِ الخلقِ، ووسامةِ التَّصويرِ، وصباحةِ سنةِ الغرَّةِ، واعتدالِ التَّركيبِ، واستقامةِ التَّدويرِ، وسبوطَةِ الشَّعرِ، ونجلِ العيونِ، وحَوَرِ الأحداقِ وبرجِ المُقلِ، وكثافةِ نَسجِ الأهدابِ، وانغماسهَا في الكحلِ، وأَسالةِ الخدودِ، وبهجةِ الصَّفحاتِ كأنَّ الماءَ يقطرُ منهَا، وامتزاجِ أحمرهَا بأبيضهَا، وتورُّدِ الوجناتِ بصبغةِ الخجلِ،... ورخامةِ الصَّوتِ، ودلالِ الحديثِ واندماجِ الخصورِ، ورقَّةِ الأوساطِ، وريِّ العظامِ ، ودماثةِ الأكعبِ، وغموضِ المرافقِ وغوصها في ريِّ المعاصمِ والعجيزةُ الوثيرة[1].

ومنَ المؤكّدِ أنَّ شخصيّةَ عمر تريدُ أن تطفو فوقَ ذاكَ الحديثِ" وهي شخصيّةٌ شغلهَا الحبُّ، أو شغلتْ نفسهَا بالحبِّ، واستنفذتِ السّبلَ فيهِ، وعانتْ كلَّ أوضاعهِ في القربِ والبعدِ والصَّبرِ والجزعِ، وهي شخصيّةٌ تصطنعُ مذاهبِ القوَّةِ وآياتِ الرُّجولةِ، إنْ صاحبهَا ألِفَ الضَّربِ في الأرضِ فلا يكادُ يعرفُ الإخلادَ، تتقاذفهُ الفلواتُ، وهي شخصيَّةٌ مترفةٌ على الذي يبدُو من صاحبهَا، وهي شخصيَّةٌ مرموقةٌ من وجهتينِ مختلفتينِ، ترمقهَا النِّساءُ ويرقَبهَا ذوو قرابةِ هؤلاءِ النِّساءِ والشَّاعرِ، إنَّما يعيشُ بين هذه النَّظرةِ الطَّامحةِ والنَّظرةِ الحذرةِ"[1] .

أولاً : أنماط الذات في شعر عمر بن أبي ربيعة:

تنوعّت ألوانُ الذاتِ في شعرِ عمرَ، وأخذتْ معانيَ مختلفةً، منها حبُّ الذّاتِ أو ما يسمّى النّرجسيّة ، والذّاتُ الماجنةُ التي أخذت بلبابه، والذاتُ الغيورةُ التي جعلت منه مالكاً للآخر وكأنّه تحت إمرته، والذاتُ العاشقةُ المقرونة بمغامراته العاطفيّة وقصصه الممتعة .

- **الذّاتُ النّرجسيّةُ:**

الذَّات هي حبّ النفس وما يليه من اضطراب في الشخصية حيث تتميز بالغرور والتعالي والشعور بالأهمية وهي كيانٌ لا يُدركُ بذاتهِ وإنّما عبرَ مظاهرهِ ونتائجهِ وأفعالهِ تماماً كحال الذِّهنِ، تظهرُ على أكثرِ من وجهٍ بحسبِ جهة النَّظرِ إليها وهيَ كيانٌ شفّافٌ، قادرٌ على الانعكاسِ الذَّاتي، فهي تدركُ عالمهاَ وغيرها وتدركُ نفسهَا، وهي الكيانُ المركزيُّ الموحَّدُ لكلِّ أنشطةِ الإنسانِ الواعيةِ، وهيَ منظّمٌ وفاعلٌ وممثّلٌ في الوقت نفسهِ ، وقبلَ كلِّ ذلكَ هي كيانٌ خاصٌّ، ومركز الهويَّةِ الشَّخصيَّةِ للفردِ وصنوهَا[2] ، أمّا النَّرجسيَّةُ؛ فهي مصطلحٌ استخدمهُ هافيلوك إيليسْ في سياقِ الطبِّ النفسيِّ عام 1898، ثم أدخلهُ سادجَر عام 1908بوصفهِ مفهوماً في التَّحليلِ النَّفسي، ومنحهُ فرويد عام 1910، مصطلح انحرافٍ خاصٌّ، وفي عام 1911 يعرفه فرويد بوصفهِ موضوعاً ليبيديَّاً، وفي عامِ 1914 يعرّفهُ فرويد بأنَّه

1- ينظر: الرفاء، السري بن أحمد، المحب والمحبوب والمشموم والمشروب ، تحقيق : مصباح غلاونجي: صـ 6 ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، بدون تاريخ .

1- فيصل، شكري، تطوُّر الغزل بين الجاهليّة والإسلام، من امرئ القيس إلى ابن ربيعة ، ص 402، ط4 ،دار العلم للملايين بيروت.

2- ينظر: قرني، د. عزت، الذَّات ونظرية الفعل، ص26-27، ط1 دار قباء للنشر القاهرة 2002م.

تتمة ليبيدية للأنانية أي غريزة الأنا حسب تعبيرهِ، وهو مفهومٌ يحملُ دلالاتٍ متنوعة في علم النَّفسِ الحديثِ من أبرزها تمركز الاهتمام السِّيكولوجي على الأنا (تضخُّم الأنا) ويرى فرويد أن النَّرجسية على ارتباطٍ وثيقٍ بغرائز الأنا والغرائز الجنسيَّة[1].

وبالحديثِ عن عمرَ لمْ تكنْ شخصيّتهُ مشابهةً لأيّةِ شخصيَّةٍ أخرى منَ الشُّعراءِ، الذينَ عاصروهُ أو أتَوا بعدَهُ أو قبلهُ، فقدْ كانَ زعيمَ الغزلِ الصَّريحِ بلا مُنازعٍ، ولعلَّ وضعيهِ الاجتماعيّ والاقتصاديّ على حدٍّ سواء، مكَّناهُ منْ أنْ يحظى بتلكَ المكانةِ فحياةُ التَّرفِ والمجونِ لم تكنْ لتتوافرَ لكلّ النّاسِ في العصرِ الأمويِّ، لما تتطلّبهُ من مالٍ وموقعٍ اجتماعيٍّ وحظوةٍ ونسبٍ، تُلزِم كلّ من يدخلُ من بوَّابةِ تلكَ الحياةِ، التي تشوبُها المخاطرُ النّاجمةُ عن قضايَا الشّرفِ والعرفِ والتّنافسِ المحمومِ على إحداهنَّ.

والشَّخصيَّة هي كلُّ ما كان فطريَّاً بيولوجيَّاً، من الاستعدادات والنَّزعات والميول، والشَّهوات والغرائز عند الفرد، وكذلك كلُّ ما اكتسب الفرد بخبرته، من استعداداتٍ وميولٍ" [2] ، منْ هنَا كانَ لا بدَّ من وجودِ عواملَ تميِّزُ شخصيَّة عمرَ بن أبي ربيعةَ وأبرزُها الاندفاعُ والتّهورُ والعنادُ المترافقُ مع الطّيشِ والجرأةِ بطبيعةِ الحالِ، وهذهِ المكوّناتُ هي التي كوّنتْ ملامحَ الذَّاتِ النَّرجسيَّةِ، التي فاقتْ أقرانَها من الشُّعراءِ فقد قدِّرَ لعمرَ أنْ يتغنّى بقوّتهِ وشجاعتهِ وفروسيتهِ وهاهو ذَا يقولُ[3]:

ونَحْنُ فَوارسُ الهَيجَا إذا ما	**رَئيسُ القَومِ أجْمَعَ للهُرُوبِ**
نُقِيمُ على الحِفَاظِ فَلَنْ تَرَانا	**نَشُلُّ نَخَافُ عَاقِبَةَ الْخُطوبِ**
ويَأْمنُ جارُنا فينَا وتُلقى	**فَواضِلنَا بمحْتَفِظٍ خَصيبِ**

ومنْ مظاهرِ الذَّاتِ النَّرجسيَّةِ ارتفاعُ أنا الشَّخصِ عن أقرانِه، وتلكَ الخصيصةُ واضحةٌ في شعرِ عمرَ، كيفَ لا وهو الذي يطلبُ الفتاةَ فلا تجيبُهُ، فيبقَى في إثرها حتَّى يحقِّقَ مرادهُ، وهو حديثُ فتياتِ الحيِّ منْ أكبرهنَّ قدراً وأرفعهنَّ نسباً إلى الجواريْ والإماءِ وهكذا تتبدَّى الأنا النرجسيَّةُ مقرونةً بالمجونِ، لاتحدُّ بحدٍّ وليسَ لها قرينٌ أو ندٌّ أو نظيرٌ وهو ما يبدو في قولِ عمرَ[4]:

بَينَما يَذكُرنَني أَبصرَنَني	**دونَ قَيدِ المَيلِ يَعدو بي الأَغَر**
قالَتِ الكُبرى أَتَعرِفنَ الفَتى	**قالَتِ الوُسطى نَعَم هَذا عُمَر**
قالَتِ الصُغرى وَقَد تَيَّمتُها	**قَدعَرَفناهُ وَهَل يَخفى القَمَر**

أمَّا الافتخارُ بالقدرةِ الجسديَّةِ والجنسيّةِ، فبابٌ من أبوابِ الشِّعر الجاهليِّ طرقه شعراءٌ كثرُ، في مُقدَّمِهم امرؤ القيسِ وطرفةُ وغيرهُم، لكنَّ عمرْ فاقهم بكثيرٍ بقريحتهِ الشِّعريَّةِ، وما توافرَ لهُ من عواملَ اقتصاديّةٍ واجتماعيّةٍ فهوَ أعزُّ النَّاسِ، وهوَ قويُّ البنيةِ فاتنُ الجسدِ، و لا يرى عيباً في تعنيفِ أيَّةِ امرأةٍ تهجرهُ والتّشهيرِ بفِعلتِها فها هوَ ذا يقولُ[5] :

1 – ينظر: غرانبرغر، بيلا، النَّرجسية ، دراسة نفسيَّة، ترجمة وجيه علي أسعد، ص،9/10/11/12/ ، منشورات وزارة الثَّقافة دمشق، 2000.

2– كامل، د . لويس، الشّخصية وقياسها ، د. محمد عماد الدّين إسماعيل ، د . عطية محمود هنار ، مكتبة النّهضة المصرية ، ط1، 1959،ص8.

3– عمر بن أبي ربيعة ، ديوانه: ص41.

4 – المصدر نفسه، ص165.

5– المصدر نفسه، ص 321 .

هَجَرْتِ الحَبِيبَ اليَوْمَ مِنْ غَيرِ ما اجْتَرَمْ وَقَطَّعتِ مِنْ ودِّي لَكِ الحَبْلَ فَانْصَرَمْ
أطَعْتِ الوُشَاةَ الكَاشِحِينَ ومَنْ يُطِعْ مَقَالَةَ واشٍ يَقْرَعِ السِّنَّ مِن نَدَمْ
... ...
يُخَبِّرُنِي أنَّ المُحَرَّشَ[1] كَاذِبٌ ومَنْ يُطِعِ الوَاشِينَ أو زَعْمَ مَن زَعَمْ
يُصَرِّمْ بِظُلْمٍ حَبْلَهُ مِن خَلِيلِهِ وَشِيكاً وَيَجْذِم قُوَّةَ الحَبْلِ مَا جَذَمْ

إنَّ النّرجسيّةَ قد تقترنُ بالمكانةِ والموقعِ، سواءً كانتْ هذهِ المكانةُ علميَّةً أم اجتماعيّةً أو دينيّةً أو سياسيّةً، وما ينطبقُ على المكانةِ ينطبقُ على الموقعِ، ولا ينسَى عمرُ في هذا المجالِ أن يشيرَ إلى كلِّ ذلكَ جملةً وتفصيلاً، فهيَ أساسيَّاتٌ لا بدَّ منها في شعرهِ ولا مناصَ منها أبداً، فذلكَ الإسرافُ والإسفافُ والبُهرجُ والزّينةُ لا بدَّ لهُ من مالٍ وسَعةِ حالٍ، ولا نبالغُ إذ نقولُ إنَّ عمرَ كانَ لهُ منَ النِّساءِ ما لمْ يكنْ لغيرهِ منَ الرِّجالِ إنَّ تلكَ النِّساءُ ماكنَّ ليجتمعنَّ حولَه لو كانَ فقيراً مُعوِزاً، وهو يشيرُ إلى ذلكَ في شعرهِ تلميحاً وتصريحاً فيقولُ[2]:

ولَوْ سُئِلَتْ بنَا البَطْحَاءُ قَالَتْ هُمُ أهلُ الفواضلِ والسُّيوبِ
ويُشْرِقُ بَطنُ مكّةَ حيْنَ نُضْحى بِهِ ومُنَاخُ وَاجبَةِ الْجُنوبِ
وأَشْعَثَ إنْ دَعوْتَ أجابَ وهناً على طولِ الكرىْ وعلىْ الذُّؤُوبِ

يقدِّمُ طهَ حسين في كتابهِ حديثُ الأربعاءِ، رأياً خاصَّاً في نرجسيَّةِ عمر بن أبي ربيعةَ، إذ يقولُ " أظنُّكَ تستطيعُ الآنَ أن تفهمَ السَّببَ في افتتانِ النِّساءِ بعمرَ، وتنافسهنَّ فيهِ، وأظنُّكَ تشاركني في الحكمِ بأنَّ عمرَ لم يكنْ مغروراً ولا مفتوناً ولا تيَّاهاً، كما كانَ يظنُّ بهِ بعضُ القدماءِ، وكما يظنُّ بهِ بعضُ المحدثينَ أيضاً، ولكنَّ مصدرَ هذا لم يكن غروراً ولا فتنةً وإنَّما كانَ حبُّ النِّساءِ إيَّاهُ حقَّاً وتهالكهنَّ عليهِ حقَّاً"[3] لكنَّ الدِّيوانَ يذخرُ الشَّواهدَ التي تدلُّلُ على نرجسيَّةِ عمرَ وما أكثرَ الصُّورَ التي تبرزُ لنا استعلاءَ عمرَ بن أبي ربيعةَ واحتفاءَهُ بنفسهِ، فهوَ الشُّغلُ الشَّاغلُ للنِّساءِ الَّلاتي يبكينَ عليهِ الدّموعَ الغزيرةَ عندَ توديعهِ، ويصوّرُ لنا موقفَ صاحبتِه منهُ وقد استعدَّ للرَّحيلِ[4]:

غَدَاةَ غَدٍ تُودّعُنَا وقَدْ رامَقتْ[5] مُنطَلَقَا
تَرَىْ إنسَانَ مُقلَتِها بِدَمْعِ العَيْنِ قَدْ شَرَقَا
وقَدْ حَلَفَتْ يَميناً برَّ ةً[6] بِمِحَلٍّ منْ خَلَقَا
لقَدْ عُلِّقْتُ منْ عمرٍ حِبَالاً مِثْلَهَا عُلِقَا

ومن آثارِ النَّرجسيّةِ المجونُ، فالذَّاتُ الماجنةُ ترتبطُ بنحوٍ أو بآخرَ بالذَّاتِ النّرجسيّةِ، فكيفَ ظهرت الذّاتُ الماجنةُ في شعرِ عمرَ.

1 – المحرّش : الذي يحرّض على العداوة .
2– عمر بن أبي ربيعة، ديوانه، ص 42.
3– حسين، طه، حديث الأربعاء ، ج1، ط11، دار المعارف بمصر، ص310 .
4 – عمر بن أبي ربيعة، ديوانه: ص 245.
5 – رامقت : اعتزمت وصمَّمْت .
6 – البرة : الصادقة .

● الذّات الماجنة:

كانت الصِّلةُ الاجتماعية أساسَ الحياةِ الأدبيّةِ وغايتَها بالقياسِ إلى عمرَ، فهوَ لم يكن يتصوّرُ المرأةَ إلا أنَّها مكمِّلة للرَّجل لا يستطيعُ أن يعيشَ من دونها، كما أنّها لا تستطيعُ أن تعيشَ من دونهِ، ولم يكن عمرُ يقصرُ هذه الصِّلة القوية مع المرأة على معناها الماديِّ وحده، وإنَّما كانَ يريدها واسعةً متناولةً جميعَ أطرافِ الحياةِ[1].

والمجونُ هنا مقرونٌ بالبعدِ عن الشَّرعِ وتجاوزِ الآدابِ، والإخلالِ بالأحكامِ التي شرَّعها الإسلامُ، وهوَ نتيجةٌ من نتائجِ النَّرجسيّةِ ووجهٌ من وجوهها، والمجونُ هنا صِنو الفُسقِ والحرامِ وهوَ كثيرٌ في شعرِ عمرَ إذ يقولُ[2]:

فَقَالَتْ فَتَاةٌ كنْتُ أحْسَبُ أنَّها مُغفَلَةٌ في مئزرٍ لمْ تدرَّعِ[3]

لهُنَّ وما شَاوزْنَها ليسَ ما أرَى بحسنِ جزاءٍ للكريمِ المودِّعِ

فلمْ تسلمْ الفتياتُ الصَّغيراتُ منْ عينِ عمرٍ الماجنةِ الرَّاصدةِ للنِّساءِ، ومنهن هذهِ الصَّغيرةُ التي كانَ يحسَبُها مُغفَلةً لم تزلْ في مئزرٍ، لأنَّها لم تبلغْ بعدُ أن تلبسَ الدِّرعَ الذي أصبحَ عنوانَ أنوثةِ الفتياتِ، وهيَ تجاوبُ الفتياتِ الأكبرَ منها سنَّاً، وتبديْ إعجابَها بعمرٍ على نحوٍ غيرِ معلنٍ، والحديثُ عن المجونِ في شعرِ عمرَ يطولُ ولا يقصرُ؛ منَ التَّشهير بالنّساءِ الحرائرِ ذواتِ الحسبِ والنَّسبِ، إلى هتكِ الأعراضِ وفضحِ الأسرارِ إلىْ المجاهرةِ بالجماعِ مع منْ يحبُّ ويهوىْ وها هوَ ذا يقولُ[4]:

باتت ولي من بذلها حمش اللثات أعجف

فبت ليلي كله ترشفني وأرشف

إخال ثلجا طعمه قد خالطته قرقف

وكان لعمر أسبابٌ عديدةٌ جعلته يتفرّغ لحياة المجون، فهو رجلٌ بعيدٌ كلَّ البعدِ عن السِّياسةِ وأهوائِها، مع العلمِ أنَّه ينتمي إلى بيتٍ من بيوتِ السّياسةِ في العصرِ الأمويِّ، وقد كانَ لهم نصيبٌ وحظوةٌ في بلاطِ الخلفاءِ لكنَّه يتركُ أهواءَ السِّياسةِ لأهلهَا ويبحثُ عمَّا يشبعُ جموحهُ ورغباتِه وها هوَ يقولُ [5]:

أفْتِنِيْ إنْ كنْتَ ثَقفاً شاعرا عنْ فتىً أعوجَ أعمىْ مختلفْ

سيّءَ السِّحنةِ كابٍ لونُه مثلَ عودِ الخروعِ البالِي القَصِفْ

ويقول في قصيدة أخرى: [6]

ذاتُ حُسنٍ إنْ تغبْ شمسُ الضُّحَىْ فلا منْ وجهِها عنهَا خَلَفْ

1 – حسين، طه، حديث الأربعاء ، ج:1 ص308.

2 – عمر بن أبي ربيعة ، ديوانه : ص 214 .

3 – تدرّع : صفة لفتاة صغيرة السن .

4 – عمر بن أبي ربيعة ، ديوانه ، ص 231 .

5 – المصدر نفسه ، ص 236 .

6 – المصدر نفسه ، ص237.

وحينَ نتحدّثُ عنِ المجونِ في شعرِ عمرَ فعلينا أن نذكر شيئاً من مظاهرِهِ التي تتمثَّلُ في المغامرةِ والطَّيشِ والإسفافِ وعدمِ التَّفكيرِ في العواقبِ، إنَّه الانفلاتُ من كلِّ رابطٍ أو قيدٍ اجتماعيٍّ أو دينيٍّ أو أخلاقيٍّ، والاستسلامُ لشهواتِ النَّفسِ، وهذا يعنيْ فيما يعنيهِ تعطيلَ العقلِ عن أيِّ تفكيرٍ منطقيٍّ، فالرّغباتُ الجامحةُ هيَ البوصلةُ التي تضبطُ سيرَ عمرٍ وأفعالَهُ وحركاتِهِ وسكناتِهِ يقولُ[1]:

أحب لحب عبلة كل صهر علمت به لعبلة أو صديق
ولـولا أن تعنفني قريش وقول الناصح الأدنى الشفيق
لقلت إذا التقينا قبليني ولو كنا على ظهر الطريق

وفيْ مجونهِ لا ينسى عمرْ أنْ يرسمَ أدقَّ التَّفاصيلِ؛ فهو مغرمٌ بالتَّقبيلِ لا يرىْ شيئاً أعذبَ من ريقِ الحبيبِ وأطيبَ منهُ ، ولعلَّهُ لم يجارِهِ في مثلِ هذا الوصفِ شاعرٌ في أيٍّ منَ العصورِ القديمةِ ولا افتتنَ افتتانهُ [2] فيقولُ : [3]

فَمَجَّتِ المِسكَ بَحتاً لَيسَ يَخلِطُه إِلّا سَحيقٌ مِنَ الكافورِ قَد نُخِلا
وَالزَنجَبيلُ مَعَ التُفّاحِ تَحسَبُهُ مِن طيبِ ريقَتِها قَد خالَطَ العَسَلا
يا طيبَ طَعمِ ثَناياها وَرِيقَتِها إذا اِستَقَلَّ عَمودُ الصُبحِ فَاِعتَدَلا

وصورةُ المرأةِ تكتملُ بجمالِ بشرتهَا ونضارتِها ، وهذا ما أدركَهُ عمرُ فأخذَ يرسمُ بريشتهِ لوحاتهِ الفنيَّةَ ، فيصوّرُ لنا بشرةَ صاحبتهِ بأنّها غضَّةٌ طريّةٌ كبشرةِ الطّفلِ ، لو دبَّ صغيرُ النَّملِ فوقَ ثوبها مشياً هيِّناً لأثَّرَ في أديمِها فيقولُ [4]:

لَو دَبَّ ذَرٌّ رُوَيدا فَوقَ قَرقَرِها لَأَثَّرَ الذَرُّ فَوقَ الثَوبِ في البَشَرِ

ومنْ ضروبِ المجونِ في شعرِ عمرَ بن أبي ربيعةَ، التَّغنّي بجمالِ الثَّدي بلا وازعٍ ولا خجلٍ، فالمرأةُ النَّاهدةُ الثَّديين هي محلُّ إعجابِ الشَّاعرِ حيثُ يقولُ : [5]

وَناهِدَةِ الثَديَينِ قُلتُ لَها اِتَّكي عَلى الرَملِ مِن جَبّانَةٍ لَم تُوَسَّدِ

ويقولُ : [6]

أَبتِ الرَوادِفُ وَالثُدِيُّ لِقُمصِها مَسَّ البُطونِ وَأَن تَمَسَّ ظُهورا

1 – عمر بن أبي ربيعة ، ديوانه، ص 240 .
2 – ينظر: مبارك، د.زكي، حب عمر بن أبي ربيعة وشعره: ص411، الطبعة الرابعة ، منشورات المكتبة العصرية ، 1971 م .
3 – عمر بن أبي ربيعة، ديوانه: ص 278 ، 279 .
4 – المصدر نفسه ، ص 138 الذر: صغار النمل ، والقرقر: ثياب المرأة ، والبشر: الجلد..
5 – المصدر نفسه، ص 116 .
6 – عمر بن أبي ربيعة، ديوانه: ص 192 .

وكذلك الترائب أيضا أكثر عمر من التغني بجمالها وها هو ذا يقول [1] :

فبدَتْ ترائبُ شادنٍ ومكرّسٍ فيهِ عقاصُهْ
وأغرّ كالإغريضِ[2] لا يغيِّره انتقاصُهْ

والكواعب اللاتي وصفهن عمر في غير موضع من شعره بقوله[3] :

تلكَ التي قالتْ لجاراتٍ لها حورِ العيونِ كواعبٍ أترابِ
قالَتْ لذاكَ لها فتاةٌ عندَها تمشِي بلا إتْبٍ[4] ولا جلبَابِ
هذا المقام فديتكن مشهر فاحذرن قول الكاشح المرتاب

ومن ضروب المجون أيضا التغني بجمال العجيزة وسمنتها وبروز الثديين وها هو ذا يقول[5] :

قبّاءُ[6] إن أقبلتْ مُبَتَّلة والبوصُ منها كالقَوْرِ مُنْعفرُ

ولا يقفُ الأمرُ عندَ هذا الحدِّ فقدْ حرصَ عمرُ على التّغنّي بجمالِ السَّاق والسُّمنةِ في أردافِ صاحباتِهِ ورسمِ صورةً لساقينِ جميلتينِ لطيفتيِّ المنظرِ تُكملانِ قداً أهيف مهفهفاً حينَ تنظرُ إليهِ منَ الأمامِ تطبقُ الخلاخلُ عليهما بغيرِ صوتٍ، بحيثُ تصمتُ الحجالُ أو الخلاخيلُ وهيَ تجولُ بها كما تصمُتُ الدَّمالجُ في الذِّراعِ أيضاً" [7]، فيقولُ عمرْ: [8]

مَمكورَةِ السَّاقِ غَرثانٍ مُوَشَّحُها حُسّانَةِ الجيدِ وَاللَبَاتِ وَالشَعَرِ

ويقول : [9]

ذَكَرَ القَلبُ ذُكرَةً مِن نِساءٍ غَرائِبِ
خُدَلِ السوقِ[10] رُجَّحٍ[11] ناعماتِ الحقائبِ[12]

---

1 – عمر بن أبي ربيعة، ديوانه، ص 203.

2– الإغريض : الطلع وهو أول ما يبدو من ثمر النخل وأراد به الثدي

3 –المصدر نفسه ص 60.

4– الإتب :الدرع الذي تلبسه المرأة والثوب القصير يريد أنها ما زالت صغيرة في السن ، والجلباب ثوب واسع تغطي به المرأة صدرها

5– المصدر نفسه ص 158.

6– قبّاء: ضامرة البطن قد رفع نهداها ثوبها فلا يلامس بطنها ، المبتّلة: الجميلة التامة الحسن ،البوص: العجيزة ، القور أعلى الجبل الصغير، المنعفر : السمين .

7 – مبارك، د.زكي، حب عمر بن أبي ربيعة وشعره: ص:420 الخدل هي الممتلئات و السوق جمع ساق.

8 – عمر بن أبي ربيعة، ديوانه: ص 138 . ممكورة :مستديرة الساق، والغرثان: الجوعان، والموشح: الخصر، وغرثان موشحها: كناية عن دقة الخصر وضموره، وحسّانة الجيد: جميلته، واللبة: موضع العقد من العنق.

9 – عمر بن أبي ربيعة، ديوانه: ص 51 .

10 – خُدَلِ السوقِ : من ذوات السيقان الغليظة المستديرة .

11 – رجح : ممتلئات الأرداف .

12 – الحقائب : الأرداف .

إنَّ المجونَ يعنيْ تعطيلَ الحالةِ الذِّهنيَّةِ المنطقيَّةِ، ويبدو أنّ عمرَ قدْ اختارَ هذا الطَّريقَ عامداً متعمِّداً، وكأنَّهُ يريدُ أن ينسَى، أن يتركَ حياةً لا قبلَ لهُ بمواجهتها، والتزاماتٍ ليسَ أهلاً لحملها، أو أنَّهُ لا يجدُ في نفسهِ رغبةً لاحتمالِ الملمَّاتِ والهمومِ، ومنْ نتائجِ هذا المجونِ الغرورُ والشُّعورُ بالعظمةِ والحماقةِ التي تصلُ درجةَ الإسفافِ والتَّهوّرِ[1].

يا قُضَاةَ العبادِ إنَّ عَلَيكمْ ... في تُقَى ربِّكُم وعَدْلِ القَضَاءِ
أنْ تُجِيزُوا وتُشْهِدُوا لِنِساءٍ ... وَتَرُدُّوا شَهَادَةً لِنِساءِ
فانْظُرُوا كُلَّ ذاتِ بوصٍ[2] رَداحٍ[3] ... فَأَجيزُوا شَهَادَةَ العَجزاءِ

- **الذَّاتُ الغيورةُ :**

ليستْ الغيرةُ هنا مفهوماً حميداً إذا ما قورنَتْ بالغيرةِ الإسلاميَّةِ أو الدِّينيّةِ، أو غيرةُ الرَّجلِ على عِرضِهِ وحتَّى الغيرةُ القبليَّةُ، فالغيرةُ مفهومٌ يتّخذُ شكلهُ وأبعادهُ وتقييمهُ الاجتماعيَّ من خلالِ أفعالِ الشَّخصِ ذاتِه الذي يمارسُ هذا السُّلوكَ وغيرهُ .

إنَّها غيرةٌ من نوعٍ خاصٍّ مقرونةٌ بنزعةِ التَّملكِ والسَّيطرةِ، غيرةٌ مرضيَّةٌ قائمةٌ على مبدأ كلُّ ما يعجبنِي فهوَ لي وهيَ قريبةٌ من حبِّ التَّملكِ ببعدهِ السَّلبيِّ يقولُ[4]:

قَالَتْ أُمَيْمَةُ يومَ زَوْرَتِهَا ... قَولَ المُؤَارِبِ غَيْرِ ذي عَتبِ
هَذَا الذيْ لَجَّ البِعَادُ بِهِ ... ما كَانَ عَنْ رَأيٍ ولَا لُبِّ
باعَ الصَّدِيقَ بوُدِّ غَائِبَةٍ ... بالشَّأْمِ فِيْ مُتَمَنَّعٍ صَعْبِ

والغيرةُ هنا مرتبطةٌ بالنِّساءِ، ولكنَّ الزَّوجةَ والحبيبةَ وحتّى العشيقةَ، لسنَ مشمولاتٍ بغيرةِ عمرَ فغيرةُ عمرَ لا تشوبُها النَّوايا البريئةُ المقرونةُ بالطُّهرِ، بلْ على العكسِ من ذلكَ غيرةٌ مشبوبةٌ على كلّ ما يمتلكُ من نساءٍ بغية اللّهوِ والمتعةِ وهوَ ما يبدوْ في قولهِ[5]:

رُبَّ لهْوٍ لَهَوْتُهُ ... بِجِوارٍ رَبَائِبِ
ليْسَ في ذَاكَ مَحْرَمٌ ... وَإِلهِ المَغَارِبِ
غَيْرَ أنَّا نَشْفي الصُدو ... رَ بذَرْوِ التَّعاتُبِ

وقدْ عبَّر عمرُ عن غيرتهِ في غيرِ موضعٍ من شعرهِ، من خلالِ التّحدّي الذي كانَ يعقدهُ بينهُ وبينَ الرّجالِ الآخرينَ، في مشهدٍ لا نبالغُ إذ نقولُ إنّ الغريزةَ تعمّهُ أكثرَ من الحبّ، وأنّهُ أبعدُ ما يكونُ عن المشاهدِ الأُنسيّة ولا تقفُ

1 – عمر بن أبي ربيعة، ديوانه، ص 34 .
2 – البوص : العجز .
3 الرداح : الضخمة الأوراك .
4 – عمر بن أبي ربيعة، ديوانه ، ص 42 .
5 – المصدر نفسه، ص 52 .

الغيرةُ عندَ هذا الحدّ، بل تتجاوزهُ إلى حدِّ الغيرةِ من الرّجالِ أنفسهم لثرائهم، أو وضعهم، أو فقرهم أو معشوقاتهم لكلِّ ما هوَ عندَهمْ ولا يمتلكهُ عمرْ وهو يصرح بكرههِ لبعضِ الرّجالِ وها هوَ ذا يقولُ [1]:

غَدَاةَ تَقُولُ علَى رَقْبَةٍ ... لِقيِّمِهَا احْبِسِ الرّاكِبَا
فقالَ لهَا فِيْمَ هذا الكلا ... مُ فيْ وجهِهَا عابِساً قَاطِبَاً
فقالَتْ كريمٌ أتَى زائِراً ... يمُرُّ بِكُمْ هكَذَا جَانِبَا
لِحُبِّكِ أحبَبْتُ من لمْ يَكُنْ ... صَفِيَّاً لنَفسِيْ ولَا صَاحِبَا

إنَّ الغيرةَ مقرونةٌ بالأنانيَّةِ والطَّمعِ، وهذه بدورها مقرونةٌ بالغرورِ لناحيةٍ ما، وهذه المعانِي كثيرةُ الطَّرح في شعرِ عمرَ، وتعكسُ حالةَ نكوصٍ طفوليٍّ جامحٍ وسوءَ تكيّفٍ مع الواقعِ، ونزعةً لاكتشافِ المجهولِ، وهوَ ما ينعكسُ في شعرهِ [2]:

أَيُّهَا القَائِلُ غَيْرَ الصَّوابِ ... أَمْسِكِ النُّصْحَ وأَقْلِلْ عِتَابِيْ
واجْتَنِبْنِي واعلَمْ أنْ سوْفَ تُعْصَى ... ولَخَيرٌ لَكَ بعْضُ اجْتِنَابِي
إنْ تَقُلْ نُصْحَاً فَعَنْ ظَهرِ غِشٍّ ... دائِمِ الغِمْرِ بَعيْدِ الذَّهابِ

فهوَ لا يقبلُ اللّوم والنّقاش في أيّ تصرّفٍ يصدر عنه، لأنّ تصرّفاته محطّ أنظار المجتمع الذي يرفضها، بل إنّه يقطع الطّريق أمام كلِّ من يفكّر مجرّد تفكيرٍ في لومه، ويهدّده بالقول: خيرٌ لك أن تجتنبني وتجتنب نصحي ، وهذا الأمر فيه ما فيه من الاستئثار بالرّأي وعدم تقبّل الآخر وعدم الثّقة بمن حوله، حين يرجع النّصح إلى الغشّ بقوله :إنْ تَقُلْ نُصْحَاً فَعَنْ ظَهرِ غِشٍّ .

- **الذَّات العاشقةُ :**

العشقُ بابٌ طرقهُ الشّعراءُ منذُ الجاهليَّةِ وقد ارتبطَ عندَ أكثرهم بالمآسيْ والمآثرِ والقصصِ الخالدةِ التيْ لم يتكلّل الكثيرُ منها بالنَّجاحِ وقد اقترنَ هذا اللّونِ في شعرِ عمرَ بالقصصِ والمغامراتِ الشّيّقةِ التي صيغت ضمنَ قالبٍ شعريٍّ جميلٍ وعذبٍ يقول[3]:

مَنْ لِعَينٍ تُذْرِي مِنَ الدَّمْعِ غَرْبا ... مُعْمَلٌ جَفْنُهَا اخْتِلَاجَاً وضَرْبَا
مُعْمَلٌ جَفْنُهَا لِذِكْرَةِ إلْفٍ ... زَادَهُ الشَّوقُ والصَّبَابَةُ كَرْبَا
لَوْ شَرَحْتِ الغَدَاةَ يَا هِنْدُ صَدري ... لَمْ تَجِدْ لي يَدَاكِ يَا هِندُ قَلْبَا

والقارئُ لديوانِ عمرَ يلحظُ سيطرةَ هذه الصُّورةِ على شعرهِ حتَّى قيلَ فيهِ " لا يصوّرُ فقط حبَّه للمرأةِ وما يلاقي فيهِ من عذابٍ وحرمانٍ، وما يتعطَّشُ إليهِ من وصلٍ ولقاءٍ، وإنّما يصوّرُ أيضاً مشاعرها نحوهُ ورغبتها الشَّديدةِ في رؤيتهِ ولقائهِ "[4] وها هو ذا يقول[5] :

---

1 – عمر بن أبي ربيعة ، ص 78 .
2 – المصدر نفسه، ص 73 .
3 – المصدر نفسه، ص 51
4 – ضيف، شوقي، الشعر والغناء في المدينة ومكة :ص262 ، الطبعة الرابعة، دار المعارف.
5 – عمر بن أبي ربيعة ، ديوانه ، ص 52–53 .

أُشَوَّقُ أَنْ تَنَأَى بِنَائِلَةَ النَّوَى وهَل يَنْفَعَنِّي قُرْبُها لَوْ تَقَرَّبُ
فَإن تَتَقَرَّبْ يَسْكِنِ القَلْبَ قُرْبُها كَمَا النَّأيُ مِنْهَا مُحْدِثُ الشَّوْقِ مُنْصِبُ
خُذي العَقْلَ أوْ مُنِّي ولا تَمْثُلي به وفي العَقْلِ دون القَتْلِ لِلْوِتْرِ مَطْلَبُ

إنَّ القدرةَ اللّغويّةَ التي تمتّعَ بها عمرُ، جعلتهُ يظهرُ لنا بوضوحٍ شديدٍ مقدارَ ما يملكهُ العاشقُ من جرأةٍ، في إعلامِ من يحبُّ بحبِّه ورغبتهِ في الوصلِ، وتجاوزِ الحرَّاسِ والأسوارِ وفعلِ ما لا يليقُ برجلٍ كريمٍ يقولُ[1]:

فمَا بالُ طَرْفِيَ عفَّ عمَّا تسَاقَطَتْ لهُ أعينٌ مِنْ مَعْشَرٍ وقُلوبُ
عَشيَّةَ لا يَستنكِفُ القَومُ أنْ يَرَوْا سَفاهَ امرىءٍ مِمَّنْ يُقالُ لبِيبُ
ولَا فِتْنَةٌ مِنْ نَاسِكٍ أَومَضَتْ لَهُ بِعَيْنِ الصِّبَا كَسْلَى القِيَامِ لَعُوبُ

وفي قصصِ العشقِ؛ تُروى الحكاياتُ الجميلةُ عن لقاءاتٍ بعيدةٍ عن أعينِ النَّاسِ، وتبادلِ مشاعرِ الحبِّ والعواطفِ الجيَّاشةِ المتبادلةِ، وفيهَا يكثرُ اللَّوم والعتابُ وتكثرُ المشاحناتُ ومرّاتُ الفراقِ، ويغدو الفراقُ اختباراً لمتانةِ العلاقةِ بينَ العاشِقَين يقولُ[2]:

إنَّ طَيْفَ الخَيَالِ حِينَ أَلَمَّا هَاجَ لِي ذِكْرَةً وأَحْدَثَ هَمَّا
جدِّديْ الوَصْلَ لي سُكَيْنَ وَحودي لِمُحِبٍّ فِرَاقه قد أحَمَّا
إنْ تُنيلِي أعِشْ بِخَيرٍ وإنْ لَمْ تَبْذُلِي الوُدَّ متُّ بالْهَمِّ غَمّا

وحينَ تُذكَرُ قصصُ العشقِ تذكرُ في مقابلها قصصُ الوشاةِ الحاسدينَ والعاذلاتِ من النِّساءِ وفيها ينقلبُ الأهلُ إلى أعداءٍ وتحفظُ الأسرارُ عندَ الجواري والعبيدِ وفي كلِّ ذلك تكونُ الذَّات العاشقةُ سيّدةَ الموقفِ وشاهدةً على كلِّ ما يجريْ ويدورُ[3]:

أَقُولُ لِمَنْ لَامَ في حبِّهَا أَرَى لكَ في الرَّأيِ أنْ تُقْصِرَا
فَلستَ مُطَاعَاً فلَا تَلْحَنِيْ وليسَت بأهلٍ لأَنْ تُهْجَرَا
فكمْ منْ أخٍ لامَ في حبِّهَا فأَقْصَرَ مِنْ قَبلِ أنْ أُقصِرَا

وتتلذَّذُ ذاتُ العاشقِ بكلِّ ما يجريْ حولها، وتتّخذُ ممّن يعرقلُ وصلَها عدوّاً لدوداً لها، حتّى ولو كانَ خلّاً لها فذاتُ العاشقِ تتَّجهُ باتِّجاهٍ واحدٍ ذاتُ المعشوقةِ التي تكمِّلهَا، وهي تحرقُ نفسهَا في سبيلِ ذلكَ، ولكنْ هل كانت ذاتُ عمرَ العاشقةُ لتصلَ إلى هذا الحدِّ ؟.

يرى شوقي ضيف أنَّ عمرَ، كان يرى المرأةَ كأنَّهُ لم يرها من قبلُ، ويحبُّها كأنَّه لم يحبَّ امرأةً قطُّ، وأنَّهُ لن يسلوْ عنها مهما تتبدَّل الأحوالُ وتختلفُ صروفُ الحياةِ، وكانَ صادقاً في هذا كلِّهِ[4] .

---

1 – المصدر نفسه، ص 50 .
2 – المصدر نفسه ، ص 355 .
3 – المصدر نفسه ، ص 162 .
4 – حسين، طه، حديث الأربعاء ، ج1، ص310.

أما الجوابُ الذي يأتيْ من تتبُّعِ شعرِ عمرَ، فهو الذي يصرِّح فيهِ بأنَّهُ لن يصلَ إلى هذا الحدِّ، بلْ على العكسِ من ذلكَ سيمتِّعُ نفسَهُ في كلِّ وقتٍ يتاحُ لهُ، فالنِّساءُ كثيراتٌ وكلُّهنَّ يتطلَّعنَ إلى إشارةٍ منهُ يقولُ[1]:

مَا بَالُ قَلْبكَ لا يَزَالُ يَهِيجُهُ	**ذِكَرٌ عَوَاقِبُ غِبِّهِنَّ سَقَامُ**
أَتريدُ قَتْلكَ أمْ جَزَاءَ مَوَدَّةٍ	**إنَّ الرَّفِيقَ لهُ عليكَ ذِمَامُ**
قدْ سَاقَنِيْ قدرٌ وحينٌ غَالِبٌ	**مِنْهَا وصَرفُ مَنِيَّةٍ وَحِمَامُ**
قَد كنتُ أَغنَى بالسَّفاهةِ والصِّبا	**عَجَبَاً لِما تأتِيْ بِهِ الأَيَّامُ**

- **ثانياً: صورة الآخرِ في شعر عمر(المرأة):**

كانَ لمواسمِ الحجِّ أثرٌ كبيرٌ في الحياةِ الاجتماعيّةِ في مكَّةَ، ومن ثمَّ في الحياةِ الأدبيَّةِ عندَ أكثرِ الشّعراءِ الذينَ شهدوهَا ولاسيَّما في حياةِ عمرَ بن أبي ربيعةَ وشعرِهِ. والنّساءِ كنّ يدركنَ أهميَّةَ هذهِ المواسمِ عندَ هذا النَّفرِ من شبابِ العربِ المترفِ فكنَّ يلبسنَ لها أحسنَ الثيابِ، ويتزينَّ أحسنَ الزّينةِ، وكانت الشَّريفاتُ منهنَّ يقدمنَ إلى الحجِّ بمواكبَ تلفتُ الأنظارَ تحفّهنّ الجواريْ من ذاتِ اليمينِ وذاتِ الشَّمالِ، وكنَّ يتباريْنَ في هذا الظّهورِ[2].

هكذا أخذَ عمرُ بن أبي ربيعةَ يصوّرُ المرأةَ الحضريّةَ المنعّمةَ في أثوابِ الحضارةِ، فهيَ امرأةٌ ترتدي أغلى الثّيابِ وأجودَها، وتتعطَّرُ بأطيبِ العطورِ وأنفَسها، وتقتنيْ أغلى الزّينةِ وأحسنَها[3] .

وكمَا أسلفنا سابقاً لم يكن لعمرَ امرأةٌ واحدةٌ فحسب، بل نساءٌ كثيراتٌ اصطلحنا على تسميتهنَّ بالآخرِ لأنَّ كلَّ واحدةٍ منهنَّ تمتازُ عن الأخرى، وتكشفُ جانباً بارزاً من الجوانبِ الخفيَّةِ في شخصيَّةِ عمرَ، فهناكَ العاشقةُ والمتمرّدةُ والماجنةُ والعفيفةُ بعيدة المنالِ،"فصورة المرأة ظلّت تجد طريقها إلى ذات الشّاعر، وتتحكّم بعطائه فتحتلّ مساحتها الخاصّة من نماذجه، عبر عصور العطاء الشّعري من دون استثناءٍ "[4] وكلّ أولئك النّساءِ كانَ لهنَّ نصيبٌ من شعرِ عمرَ على النَّحوِ الآتي :

- **الآخرُ العاشقُ :**

لا بدَّ لكلِّ عاشقٍ من معشوقٍ يبحثُ عنهُ حتَّى يلتقيهِ ويجمعهما قدرٌ واحدٌ، فإمَّا أن يُكملا الدَّربَ سويّةً، أو تفرّقهما الأحوالُ وصروفُ الدّهرِ، ويبقى بينهما ذلكَ الرَّابطُ الحميمُ، وقد تغنَّى الشُّعراءُ منذُ أقدمِ العصورِ بمشاعرهِم وأحاسيسِهم، معبِّرينَ عن آلامِ الحبِّ وأثرِهِ في نفوسهمْ ، إلّا أنّ الشّعراءَ قصروا حديثَهم عن عاطفةِ الحبِّ على ذواتهم، فكانتِ المرأةُ محبوبةً ومطلوبةً أكثرَ منهَا مُحبَّةً ، و طالبةً.

وقدْ رسمَ عمرُ بن أبي ربيعةَ طريقاً جديداً في رسمِ عاطفةِ الحبِّ، حينَ جعلَ المرأةَ تحبُّ كما يحبُّها الرَّجلُ وتعشقُ كما يعشقُ، "والعشقُ يكشفُ عن ماهيَّةِ العاطفةِ بين الرَّجلِ والمرأةِ، وفيه تصويرٌ لهوى الرّجلِ ووجدِهِ، كما إنّه يحوي وصفاً لخلق المرأة وأخلاقها، وفيه حكايةٌ عمّا يجري بينهما" [5]، بل إنّ صورةَ المرأةِ في شعرِ عمرَ بن أبي

---

1 – عمر بن أبي ربيعة، ديوانه: ص353.

2 – ينظر : الأصفهاني ، أبو الفرج ، الأغاني ، ج1 ، ص 60 .

3– ينظر : فيصل، شكري، تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام من امرىء القيس إلى ابن أبي ربيعة ،ص483 .

4 – الجابر، د.محمود عبد الله، قراءة معاصرة في نصوص من التراث الشعري ، ط1 ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 2002.

5 - ينظر : الأندلسي، ابن عبد ربه، العقد الفريد ، شرحه وضبطه وصححه ورتب فهارسه ،أحمد الزين وابراهيم الإبياري ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة : ج6 ، ص46.

ربيعةَ، هي صورةُ المرأةِ العاشقةِ المُحبّةِ الطَّالبةُ لرضى المحبوبِ، ومن ثَمَّ كانَ عمرُ بن أبي ربيعةَ إمامَ مدرسةٍ ولم يكن إماماً في صناعةِ القصيدةِ"[1].

ترويْ الأخبارُ الواردةُ في كتابِ الأغاني"[2] وغيرِهِ من كتبِ الأدبِ والتّاريخِ، أنّ عمرَ حظيَ بمعشوقةٍ اسمها الثّريا وكانت ذاتَ حسبٍ ونسبٍ وحسنٍ وجمالٍ، وقد أحبّها عمرُ حبّاً جمّاً كشفهُ في غيرِ موقعٍ من ديوانهِ الشّعريِّ .

ومن الصورِ التي رسمها الشَّاعرُ أيضاً يصوّرُ فيها مشاعرَ الحبّ المتبادلةِ، تلكَ التي رسمَها عمرُ لفاطمةَ بنتِ عبد الملكِ بن مروانَ، فقد دارَ حولَها يقولُ فيهَا الشّعرَ، ولا يذكرهَا باسمهَا خوفاً من أبيهَا ومنَ الحجّاجِ، لأنّه كانَ قد كتبَ إليهِ يتوعَّدهُ إنْ ذكرها أو عرضَ باسمِها ، فلمَّا قضتْ حجّتَها وارتحلتْ أنشأَ قائلاً [3]:

ذَرَفَت عَينُها فَفاضَت دُموعي وَكِلانا يَلقَي بِلُبٍّ أَصيلِ
لَو خَلَت خُلَّتي أَصَبتُ نَوالاً أَو حَديثاً يَشفى مَعَ التَنويلِ
وَلَقَد قالَتِ الحَبيبَةُ لَولا كَثرَةُ الناسِ جُدتُ بِالتَقبيلِ

ويرسمُ لنَا الشَّاعرُ المرأةَ في صورةٍ تبرزُ لنا تعلّقها بهِ، فهيَ لا تخفيْ حبَّها على صواحبِها بلْ تبوحُ لهنَّ بحبّها وعدمِ قدرتها على الصَّبرِ أو الفراقِ، فيجبها بأنَّها ليستْ أولَ أنثى تعشقُ رجلاً فيقولُ : [4]

قالَت عَلى رِقبَةٍ يَوماً لِجارَتِها ما تَأمُرينَ فَإِنَّ القَلبَ قَد تُبِلا
وَهَل لِيَ اليَومَ مِن أُختٍ مُواسِيَةٍ مِنكُنَّ أَشكو إِلَيها بَعضَ ما عَمِلا
فَجاوَبَتها حَصانٌ غَيرُ فاحِشَةٍ بِرَجعِ قَولٍ وَأَمرٍ لَم يَكُن خَطِلا
إِقني حَياءَكِ في سِترٍ وَفي كَرَمٍ فَلَستَ أَوَّلَ أُنثى عُلِّقَت رَجُلا

نرى في الأبياتِ السَّابقةِ صورةً للمرأةِ التي تبوحُ بحبّها ، وعدمِ قدرتِها على الصَّبرِ أو الفراقِ ، وتسألُ صواحبَها في أمرِ حبِّها الذي ملأَ وجدانَها وسيطرَ عليهَا، كما يُبرزُ لنا الشَّاعرُ صورةً لمدى سيطرةِ الحبِّ والهوى على المرأةِ، فتقسمِ لصواحبها بأنَّها تحبّه حبّاً شديداً فليسَ لهُ شبيهٌ على وجهِ الأرضِ فيقولُ [5]:

قَد حَلَفَت لَيلَةَ الصَورَينِ جاهِدَةً وَما عَلى المَرءِ إِلّا الحَلفُ مُجتَهِدا
لِتِربِها وَلَأُخرى مِن مَناصِفِها لَقَد وَجَدتُ بِهِ فَوقَ الَّذي وَجَدا
لَو جُمِّعَ الناسُ ثُمَّ اِختيرَ صَفوَتُهُم شَخصاً مِنَ الناسِ لَم أَعدِل بِهِ أَحَدا

1 – العقاد، عباس محمود، شاعر الغزل: ص 64 ، دار المعارف ، مصر ، 1964 .
2 – ينظر في الأغاني ، أبي الفرج الأصفهاني ، ج1/ 70
3 – عمر بن أبي ربيعة، ديوانه، ص267،268.
4 – عمر بن أبي ربيعة، ديوانه ، ص 286.
5 – المصدر نفسه، :ص 113.

بلْ إنّها تقسمُ بأنَّهُ لا يوجدُ شيءٌ تسرُّ بهِ نفسها ، وتُعجبُ بهِ عينَها إلّا وهوَ فوقَه فيقولُ : [1]

وَأَنَّها حَلَفَت لِلَّهِ جاهِدَة ... وَما أَهَلَّ لَهُ الحُجّاجُ وَاِعتَمَروا

ما وافَقَ النَفسَ مِن شَيءٍ تُسَرُّ بِهِ ... وَأَعجَبَ العَينَ إِلّا فَوقَهُ عُمَرُ

تبدو في أبياتِ عمرَ العفراء محبوبة ثانية على الطَّريقةِ العذريّةِ، ويبدو الرّابطُ الذي يجمعها بعمرَ رابطاً مقدّساً قوامهُ العاطفةُ الصّادقةُ، من طرفِ عمر وفي هذا يقولُ عمرْ: [2]

ألمِمْ بِعَفرَاءَ إنْ أصْحابُكَ ابتَكَرُوا ... وَسَلهُمُ هَلْ لَدَيْها اليَوْم مُنْتَظَرُ

واهاً لعَفْرَاءَ إنْ دارٌ بها قَرُبَتْ ... فَما أبَالِيْ أَلامَ النَّاسُ أمْ عُذِرُوا

تقولُ إذْ أيقَنَتْ أنّي مُفَارِقُهَا : ... يَا لَيْتَنِي مِتُّ قبلَ اليومِ يا عُمَرُ

ويظهرُ عمرُ شاعراً عذريّاً، يخلصُ العاطفةَ لمنْ يحبُّ ويهوى، فهوَ يشتاقُ إليها وتشغلُ حيِّزاً من تفكيرهِ وهي نصفهُ الآخرُ، وصنو ذاتِه العاشقةِ تكملُها وتسدّدُ خطاها إذا ما عثرتْ، فهي تبادلهُ العاطفةَ الصّادقةَ ذاتَها وتبادلهُ الهوى يقولُ عمرُ: [3]

مَكَثَ الرَّسُولُ لديكُمُ حتَّى إذَا ... قَدِمَ الرَّسُولُ ولَيْتَهُ لمْ يَقْدَمِ

لمْ يَأتِنِيْ لكُمُ بخَطٍّ واحدٍ ... يَشْفِيْ غَلِيْلَ فؤَادِيَ المُتَقَسِّمِ

وحَرَمْتَنِيْ رَدَّ السَّلامِ وما أرَىْ ... ردَّ السَّلامِ على الكَرِيمِ بِمَحْرَمِ

إنْ كُنْتِ عَاتِبَةً عليَّ فأَهْلُ مَا ... أنْ تَعْتِبِي فيمَا عَتَبْتِ وتُكْرِمِيْ

ولا تكتملُ قصصُ العاشقينَ إلا بالمغامراتِ واللّقاءاتِ، وتجاوزِ الصّعابِ، وفي سبيلِ ذلكَ تبذلُ الثّريّا محبوبةُ عمرَ أقصى ما تستطيعُ من جهدٍ وحيلةٍ، فهي حرَّةٌ وتصرّفاتُها محكومةٌ بأعينِ الوشاةِ والمغرضينَ، ومحكومةٌ أيضاً بموقعها ومكانتِها : [4]

قَالَتْ ودَمْعُ العَينِ يَجرِيْ وَاكِفَاً ... كالدُّرّ يُسبِلُ مرَّةً ويَفُورُ:

باللهِ زُرْنَا إن أرَدتَ وصَالنَا ... واحذَرْ أنَاسَاً كلُّهم مأمورُ

أنْ يأخُذوكَ فكنْ فتَىً ذا فِطنَةٍ ... إنَّ الكَرِيمَ لدى الحِذَارِ صَبُورُ

وأخيراً: تنتهي قصصُ العاشقينَ بالفشلِ، وتتزوجُ الثّريّا وتتركُ عمرَ وحيداً يندبُ وينوحُ على فراقِها، ويلومُ الأهلَ والخلّان وكلَّ من كانَ لهُ سببٌ في فراقهما، وعلى رأسهم والدُ الثّريّا، ذاكَ الرّجلُ الذي تتَّخذُ منهُ ذاتُ عمرَ العاشقةُ، عدوّاً يشحنُها بشحنةٍ غضبيّةٍ كبيرةٍ واستياءٍ بادٍ في قولِه : [5]

---

1 – المصدر نفسه، ص 139.

2 – المصدر نفسه، ص 142.

3 – المصدر نفسه، ص 331.

4 – عمر بن أبي ربيعة، ديوانه ، ص 144.

5 – المصدر نفسه، ص 334.

مَنْ يَكُنْ نَاسِيَا فلَمْ أنْسَ مِنهَا وهيَ تُذرِيْ لذاكَ دَمعاً سِجَامَاً
يومَ قالَتْ ودَمعهَا يَغْسِلُ الكُحْـ ـلَ أرَدْتَ الغَدَاةَ منَّا انْصِرَامَا
حُلْتَ عن عَهدِنَا وطاوَعتَ حسَّا داً قديماً كانُوا عَلَيكَ رِغَاما
قُلْتُ لَمْ تُصْرَمِيْ ولمْ يُطَعْ الوا شي وقَد زِدْتِ ذَا الفؤادِ غَرَامَا

هكذا تكونُ ردّةُ فعلِ عمر، تجاهَ كلِّ من يقطعُ الوصلَ بينه وبينَ محبوبته، وإنْ كانت المحبوبة لم تتحرَّكْ فلأنَّها مكبّلةٌ بقيودِ المجتمعِ، المتمثلة بالعرف والتقاليد.

- **الآخر المتمرّد:**

في طيشهِ وتفلّتهِ من القيودِ يبحثُ عمرُ عن أنثى تكمّلهُ، أي عن ذاتٍ تتفهّمُ حاجتهُ إلى التَّهورِ والإسفافِ والممارساتِ غير المسؤولةِ، وهنا تتبدّى أولى مكوّناتِ هذهِ الذَّاتِ ممثَّلةً بالتَّفلتِ من القيودِ، فالمتمرّدةُ على قيمِ الواقعِ ومعطياتهِ؛ امرأةٌ تغازل الرجل علانيةً فتمسك بثيابه جهاراً غير مبالية بقدسية المكان لدى البيت العتيق وهي التي يصفها عمر بقولهِ : [1]

يجاوبُها ساقٌ هتوفٌ لدى الضُحى على غُصنِ أيكٍ بالبكاءِ يروَّعُ
لقدْ خلعتْ[2] في أخذها بردائِه جهاراً وما كانتْ بعهديَ تخلعُ
ومدّت لدَى البيتِ العتيقِ بثوبهِ نهاراً فما يدرِي بها كيفَ يصنعُ

وهناك التي يمكن أنْ تقبّلَ الرّجلَ في السّوقِ إنْ دعاها إلى ذلك ولو كان هذا أمامَ أنظار الجميعِ من دونِ أن تخجلَ من ذلكَ، أو ترى فيهِ عيباً وهي التي يصفها عمرُ فيقول [3]:

أحِبُّ لِحُبِّ عَبلَةَ كلَّ صِهْرٍ عَلِمْتُ بهِ لعبلَةَ أو صَدِيقِ
ولَوَلَا أنْ تُعنِّفَنِيْ قُرَيشٌ وقَولُ النَّاصِحِ الأدنَى الشَّفِيقِ
لقُلتُ إذا التقينَا قَبِّلِينِيْ ولَوْ كُنَّا علَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ

فيرسمُ لنا الشّاعرُ في الأبياتِ صورةً للمرأةِ اللّاهيةِ العابثةِ، فهيَ امرأةٌ تخرجُ لرؤيةِ صاحبها في موسمِ الحجِّ، لاهيةً متحرِّرةً من كلِّ القيودِ، تتصدّى للرّجلِ ، محاولةً أن تفسدَ طوافهُ وتغمزهُ ضروباً مختلفةً من الغمزِ ، ومن ثمَّ فهيَ صورةٌ جديدةٌ لم تكن مألوفةً لدى الشُّعراءِ من قبلِ عمرَ، ومن ثمَّ فالمرأةُ المُحبِّة غالباً في شعرِ عمرَ، هي امرأةٌ غانيةٌ عابثةٌ تطلبُ أكثرَ مما تُطلبُ .

"إنَّ النِّسوةَ هنَّ اللَّواتي يعرضنَ لهُ، يقفنَ يرقبنهُ ويتحدَّثنَ عنهُ، يطرينهُ ويسرفنَ في هذا الإطراءِ ويذكرنه لا يكدن ينسينه إلا أن يغادرن الحياة إلى حياة أخرى .....وهنَّ اللواتي يرصدنَ ما يكونُ من ضمورهِ ونحولهِ، سواء كان ذلك في سبيلهن أو في سبيل غيرهن ....إنَّ عمرَ ليسَ هو الذي يبسطُ بينَ يديْ صاحبتهِ ضراعَته ولكنَّما هيَ التي تضرعُ

1 – المصدر نفسه، ص212.
2 – ساق حر: ذكر القمري . هتوف : من هتف صاح ، خلعت : تهتكت جهارا وعلانية
3 – عمر بن أبي ربيعة، ديوانه،:ص113.

إليهِ، وليس هو الذي يدعو لها ولكنما هي التي تدعو له " [1] ، ومن ثمَّ ؛ فالحبُّ الذي صوّرهُ عمرُ بن أبي ربيعةَ هو حبٌّ نسويٌّ، عبَّرَ فيهِ عن عاطفةِ المرأةِ تجاهِ الرَّجلِ وتعلّقها بهِ، وانشغالِها بالرَّجلِ أكثرَ من انشغالهِ بهَا. فيقولُ : [2]

قَد حَلَفَت لَيلَةَ الصَورَينِ جاهِدَةً ... وَما عَلى المَرءِ إِلّا الحَلفُ مُجتَهِدا
لِتِربِها وَلَأُخرى مِن مَناصِفِها ... لَقَد وَجَدتُ بِهِ فَوقَ الَّذي وَجَدا
لَو جُمِّعَ الناسُ ثُمَّ اِختيرَ صَفوَتُهُم ... شَخصاً مِنَ الناسِ لَم أَعدِل بِهِ أَحدا

فالمرأةُ في شعرِ عمرَ تقسمُ أمامَ صواحبها بأنَّها تعشقهُ وتهواهُ، وأنّها لا تجدُ لهُ شبيهاً بينَ النّاسِ كلّهم،هذهِ المرأةُ التي يتحدّثُ عنها عمرُ، يجاهرُ باسمها أمامَ الجميعِ إنَّها هندٌ، وفي الأخبارِ الواردةِ في كتابِ الأغاني ذكرٌ لهندٍ بنتِ الحارثِ المريَّةِ التي يذكرها عمرُ مراراً في ديوانهِ، ويذكرُ جلساتهِ معها ومع أترابِها في مخدعهنَّ أيام الحجِّ، بل وذهابهِ معها إلى منزلِ أهلها وتزوّجها أمامهم، وفي ذلكَ يقولُ عمر: [3]

بِهِندٍ وأَتْرَابٍ لِهِنْدٍ إذا الهَوَىْ ... جميعٌ وإذْ لمْ نَخْشَ أنْ يتَصَدَّعَا
وقَرَّبنَ أسْبَابَ الصِّبَا لِمُتَيَّمٍ ... يَقِيسُ ذِرَاعاً كلَّمَا قِسْنَ إِصْبَعَا
وقُلْنَ كَرِيمُ نَالَ وَصلَ كَرائِمٍ ... فَحُقَّ لَهُ فِي اليَوْمِ أنْ يتَنَعَّمَا

وهنا يبدو من كلامِ عمرَ عن هند بنت الحارثِ المرِّية، أنَّ هنالكَ علاقةً قويةً تربطهُ بها؛ بل وبصاحباتها، فهو يجلس معهنّ فيجاذبنهُ أطرافَ الحديثِ ويبادلهنَّ الحب كما تبادلنه، لأنهنّ يعلمن أنّ عمرَ متيّم بهنّ، وأنّه كلّما اقترين منه مقدار اصبعٍ اقترب منهنّ ذراعاً، ولا مانعَ عند هندَ وصاحباتها من وصل عمرَ، لأنّه رجلٌ كريمٌ يحقّ له أن ينال وصل كرائم النّساء، من ذوات المكانة والقدر الرّفيع، وهنّ لا ينكرن هذا الحقّ عليه بل ينعمن به، فيبادلنه الهوى علانيةً دون أن يشعرن بخجلٍ أو حياءٍ .

ومن الصُّورِ التي تبرزُ لنا في شعرِ عمرَ بن أبي ربيعةَ صورةَ المرأةِ العابثة وهي التي يصفها بقولِه : [4]

أَبصَرتُها لَيلَةً وَنِسوَتِها ... يَمشينَ بَينَ المَقامِ وَالحَجَرِ
بيضاً حِساناً خَرائِداً قُطُفاً ... يَمشينَ هَوناً كَمِشيَةِ البَقَرِ
قَد فُزنَ بِالحُسنِ وَالجَمالِ مَعاً ... وَفُزنَ رِسلاً بِالدَلِّ وَالخَفَرِ

- **الآخرُ العفيفُ:**

هي صورةٌ للمرأةِ المتأبّيةَ، قلَّما نجدها في شعرِهِ، وقد استعانَ في رسمِها بالرَّسائلِ الشِّعريّةِ، "فكثرة النساء في شعر عمر لا تعني أنهن ينزلن من نفسه منزلةً واحدةً.....وطبيعيٌّ أن يقع التفاوت بينهن والاختلاف في مراتبهن...[5]:

1 – فيصل ، شكري، تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام من امرئ القيس إلى ابن أبي ربيعة ،ص 403.
2 – عمر بن أبي ربيعة، ديوانه: ص113.
3 – عمر بن أبي ربيعة، ديوانه ، ص209.
4 – المصدر نفسه، ص161،160.
5 – فيصل ، شكري، تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام من امرئ القيس إلى ابن أبي ربيعة، ص 473 .

ومع ذلك فإننا قد نجد بعض الشواهد عليهن، من ذلك قول عمر: [1] :

تُعطي قَليلاً نَزراً إذا سُئِلَت وَالبُخلُ فيها سَجيَّةٌ خُلُقُ

وهيَ امرأةٌ فيها حياءٌ ذاتُ خلقٍ، تخافُ وتخشىْ على سمعتِها يقولُ : [2]

فَحَيَّيتُ إذ فاجَأتُها فَتَوَلَّهَت وَكادَت بِمَخفوضِ التَحِيَّةِ تَجهَرُ
وَقالَت وَعَضَّت بِالبَنانِ فَضَحتَني وَأَنتَ اِمرُؤٌ مَيسورُ أَمرِكَ أَعسَرُ
أَرَيتَكَ إِذ هُنّا عَلَيكَ أَلَم تَخَف وُقيتَ وَحَولي مِن عَدُوِّكَ حُضَّرُ
فَوَ اللَهِ ما أَدري أَتَعجيلُ حاجَةٍ سَرَت بِكَ أَم قَد نامَ مَن كُنتَ تَحذَرُ

فالشَّاعرُ فاجأَ حبيبتهُ بالسَّلامِ ، فأظهرتِ الحزنَ ، وعضّتْ على أصابعِها قائلةً : لقد فضحْتَني ، وأنتَ يا عمرُ أيسرُ أمورِكَ صعبٌ وعسيرٌ على الفتياتِ الخجولاتِ.

ويقدِّمُ عمرُ بن أبي ربيعةَ في شعرهِ توضيحاً لدلالِ المرأةِ وحيائِها وهو الخوف منِ افتضاحِ أمرِها بينَ أفرادِ القبيلةِ، والخوف من أهلها فهي ترى في قدومه هلاكا ، فهوَ أمرٌ لا يناسبُ الحرائرَ ذواتَ الحسبِ والنّسبِ من بناتِ العربِ فيقول على لسانِها : [3]

فَلَم يَرُعها وَقَد نَضَت مَحاسِدَها إِلّا سَواداً وَراءَ البَيتِ يَستَتِرُ
فَلَطَّمَت وَجهَها وَاِستَنبَهَت مَعَها بَيضاءُ آنِسَةٌ مِن شَأنِها الخَفَرُ
ما بالُهُ حينَ يَأتي أُختِ غَفلَتُنا وَشُؤمُ جَدّي وَحينٌ ساقَهُ القَدَرُ

كما نجدُ المرأةَ العفيفةَ الذَّكيةَ في شعرِ عمرَ وهيَ التي تبدي الحياءَ والتَّمنعَ رغبةً منها في تملُّكِ أحاسيسِ الرَّجلِ وهيَ كما وصفهَا عمرٌ بقولهِ : [4]

ثُمَّ قالَت لِلَّتي مَعَها لا تُديمي نَحوَهُ النَظَرا
خالِسيهِ أُختِ في خَفَرٍ فَوَعَيتُ القَولَ إِذ وَقَرا
إِنَّهُ يا أُختِ يَصرِمُنا إِن قَضى مِن حاجَةٍ وَطَرا

والمرأةُ العفيفةُ تَتعبُ عمرَ بكثيرٍ من التَّفكيرِ والتَّحايلِ، الذي يقومُ بهِ للوصولِ إليهَا من إرسالِ الجواريْ إلى ارتداءِ ملابسِ النساءِ، إلى التَّسلُّلِ واستراقِ النَّظرِ، فضلاً عنِ كثيرٍ منَ الرَّسائلِ الغراميَّةِ، التي كانَ يبعثُ بها شعراً إلى أولئك النِّساءِ من دونِ مللٍ حينَ يعييهُ الانتظارُ، وهذه الرَّسائلُ " متَّصلةٌ بالبداهةِ بمغامرةٍ غراميَّةٍ"[5] يقول : [6]

---

1 – عمر بن أبي ربيعة، ديوانه: ص 247.
2 – المصدر نفسه، ص125.
3 – عمر بن أبي ربيعة، ديوانه ، ص136.
4 – المصدر نفسه، ص176.
5 – بلاشير تاريخ الأدب العربي ، ترجمة: د .إبراهيم الكيلاني ج3 / 252 ، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1974م.
6 – عمر بن أبي ربيعة، ديوانه، ص 276.

أَرسَلتُ لَمّا عيلَ صَبري إلى ... أَسماءَ وَالصَبُّ بِأَن يُرسِلا
أَذكُرُ أَن لا بُدَّ مِن مَجلِسٍ ... يَكونُ عَن سامِرِكُم مَعزِلا

ثم يسردُ على لسانَها قائلاً : [1]

أَرسَلَت أَسماءُ إِنّا ... قَد تَبَدَّلنا سِواكا
بَدَلاً فَاِستَغنِ عَنّا ... بَدَلاً يُغني غِناكا
لَن تَرى أَسماءَ حَتّى ... تَبلُغَ النَجمَ يَداكا

وهناكَ المرأةُ العفيفةُ التي عشقتْ عمرَ، ولكنَّها لم تصلهُ أو تقيمَ علاقةً معهُ أيّاً كانَ نوعُها، بل اكتفت بمحادثتهِ والاستماعِ إلى شعرهِ، وهيَ في شعرِ عمرَ على أصنافٍ، فالأوّلُ امرأةٌ شريفةٌ ذاتُ حسبٍ ونسبٍ وهي عزباءُ، وهذهِ لكثرةِ ما سمعت عن عمرَ وشعرهِ الجميلِ أرادت التَّعرفَ إليهِ، وفي شعرهِ يذكرُ عمرُ أنَّ لقاءهُ بتلكَ المرأةِ كان لمجرَّدِ تبادلِ الأحاديثِ فقط لا غير، من دونِ إخلالٍ بالحشمةِ ولم يكن عمرْ ليتعفَّفَ أو يعتذرَ عن مثلِ هذه اللقاءاتِ، وهذهِ المرأةُ هيَ سكينةُ بنتُ الحسينِ، عليه السلام.

وفي الأخبارِ "أنَّ نسوةً منْ أهلِ الشَّرفِ اجتمعنَ فيْ المدينةِ، فتذاكرنَ عمرَ بن أبي ربيعةَ وشِعرهُ وظُرفَ حديثهِ فتشوَّقنَ إليهِ وتمنَّينهُ، فقالتْ سكينةُ بنتُ الحسينِ: أنا لكنَّ بهِ فأرسلتْ إليهِ رسولاً، وواعدتهُ الصُّورِيْن وسمَّت لهُ الليلةَ والوقتَ، وواعدتْ صويحباتِها فوافاهنَّ عمرُ على راحلتهِ، فحدّثهنَّ حتَّى أضاءَ الفجرُ وحانَ انصرافهنَّ فقالَ لهنَّ: إنّي واللهِ محتاجٌ إلى زيارةِ قبرِ الرَّسولِ والصَّلاةِ في مسجدهِ، ولكن واللهِ لا أخلطُ بزيارتكنَّ شيئاً، ثمّ انصرفَ إلى مكَّةَ" [2] وقالَ : [3]

قَالَتْ سُكَيْنَة والدمُوعُ ذَوارِفٌ ... مِنهَا علَى الخَدَّينِ والجِلبَابِ
ليْتَ المُغِيريَّ الَّذي لمْ نُجزِهِ ... فيْمَا أطَالَ تَصَيُّدي وطِلَابِيْ
كانَتْ تَرُدُّ لنَا المُنَى أيَّامَنَا ... إذْ لَا نُلَامُ علَى هَوًى وتَصَابِي

أمَّا الصّنفُ الأخيرُ من النِّساءِ العفيفاتِ فهنَ من المتزوّجاتِ من الأسر الكبيرةِ ذات الحسب والشرف، ومثالها "أمُّ محمَّدٍ بنتُ مروانَ ابنِ الحكمِ، امرأةٌ ذاتُ حسبٍ ونسبٍ، التقتْ عمرَ في الحجِّ، فلمّا قضتْ نسكهَا، أتتْ عمرَ ابن أبي ربيعةَ متخفّيةً بينَ مجموعةٍ من خادماتِها، فحدّثها مليّاً، فلمّا انصرفت أتبعها عمرُ رسولاً عرفَ موضِعهَا، وسألَ عنها حتَّى أثبتها، فعادت إليهِ بعدَ ذلكَ، فأخبرها بمعرفتهِ إيّاها فقالتْ لهُ: نشدتكَ اللهَ ألَا تُشهِّر بي بشعركَ، وبعثتْ إليهِ ألفَ دينارٍ فقبلهَا، وابتاعَ لها حللاً وطيباً فأهداهُ إليهَا، فردَّتهُ فقالَ لهَا واللهِ لئنْ لمْ تقبليهِ لأنهبنَّهُ فيكون مشهوراً، فقبلتهُ ورحلتْ" [4] فقالَ فيهَا : [5]

---

1 – المصدر نفسه، ص 136.
2 – ينظر في: الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني ،المجلد الأوّل، ص121 .
3 – عمر بن أبي ربيعة، ديوانه: صـ75.
4 – ينظر في: الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني ،المجلد الأوّل، ص124 .
5 – عمر بن أبي ربيعة، ديوانه: صـ 167.

أيُّهَا الرَّائِحُ المُجِدُّ ابتِكَارَا قَدْ قَضَى مِن تُهَامَةَ الأَوْطَارَا
مَنْ يَكُن قَلبُهُ صَحِيحَاً سَلِيمَاً فَفُؤَادِيْ بالخَيْفِ أمْسَىْ مُعَارَا
ليْتَ ذَا الحَجِّ كَانَ حَتْمَاً عَلَينَا كُلَّ شَهْرَينِ حِجّةً واعتِمَارَا

الخاتمة :

من خلال ما تقدَّم، تبدو الذَّات الإنسانيَّة مزيجاً من التَّناقضات عند عمر ، هذه التَّناقضات التي تجمع بين عفَّةٍ ومجونٍ وقولٍ رقيقٍ وآخرَ فاحشٍ، ولعلَّ هذا هو ما ميَّز شخصيَّة عمر، عن غيرها من شخصيَّات أقرانه من الشُّعراء، فتارةً تراهُ عابثاً ماجناً، وتارةً أخرى تراهُ عذريَّاً رقيقَ العاطفةِ ، و هوَ لا يسيِّر حياته وفقاً لمنوالٍ محدَّدٍ، أو قواعدَ ثابتةٍ، فهو متفلِّتٌ من أخلاقهِ تارةً، ومنفلتٌ من أسرتهِ وقومهِ تارةً أخرى.

وعلى غرارِ الذّاتِ تبدو شخصيَّة الآخرِ في شعرِ عمرَ، فهو ينتقي الآخرَ كما يحبُّ ويشتهيْ، فالمرأةُ لوحةٌ يرسمها بعد أن يختارهَا وفقاً لحالتهِ النَّفسية، وصورُها تتعدَّدُ في شعرهِ وتختلفُ عن مثيلاتها في الجاهليّة، خاصّةً حينَ يجمعُ عمرُ أكثرَ من صورةٍ في قصيدةٍ واحدةٍ .

والآخرُ في شعرِ عمرَ عفيفٌ متمسِّكٌ بالعاداتِ والتَّقاليدِ يخفي حبَّه ويضمرهُ ، وعاشقٌ محبٌّ لا يخجلُ من التَّعبيرِ عن مشاعرهِ ، وعابثٌ لاهٍ متجرّدٌ من القيمِ الاجتماعيَّةِ، لا يتورَّع عن فعلِ أيِّ شيءٍ ليصلَ من يحبُّ ويشتهيْ .

إنَّ شخصيَّةَ عمرَ بن أبي ربيعةَ شخصيَّةٌ إشكاليَّةٌ، ميَّزت العصر الأمويَّ ، وأنتجت إبداعاً أدبيَّاً وتراثاً شعريَّاً خالداً على مرِّ الأزمان، فهوَ مؤسِّسُ مدرسةِ الغزلِ الصَّريحِ في العصرِ الأمويِّ، ولعلَّ آثارَ نتاجه الشِّعريِّ عكست ملامح شخصيَّةً ذاتيَّةً، يمكن تلمُّسها في أغلب قصائده ، وهنا لا بدَّ من بعض التَّوصيات من صميم الدِّراسة :

- ضرورة البحث النَّفسيّ في شخصيَّة عمر، انطلاقاً من شعره في الغزل، والبحث في أسبابه وعوامل البيئة والتَّنشئة الاجتماعيَّة والنَّفسيَّة.
- تسليط الضَّوء على الجانب الاجتماعيِّ من حياة عمر، ولا سيَّما العلاقاتُ العائليَّةُ مع أسرتهِ ، لأنَّ هذا الجانب لم ينل حقَّه من الدِّراسة، إلافي بعض اللَّمحات التي وردت في كتاب الأغاني .
- ضرورة البحث في الجانب الإنسانيِّ من شخصيَّة عمرَ، بوصفها انطلاقاً لإبداع الشّاعر، ومعرفة الدَّوافع الكامنة خلف ذلك الإبداع، و العوامل المؤثِّرة سلباً أو إيجاباً في النتاج الأدبيِّ.
- البحثُ في دواعي الغزل، بنوعيه العذريّ والعمريّ، ومسوِّغاتهِ وآثاره ونتائجه، على كلٍّ من الطّرفين، وعلى المجتمع المحيط بكلٍّ منهما.
- التّركيز على النّتيجة والنّهاية لعلاقة الذات العاشقة بالآخر المعشوق، وتوضيح العبرة الكامنة خلف نّتائج تلك العلاقات ونهايتها .

المصادر والمراجع :

1. إسماعيل ، عزّ الدّين ، *الأدب وفنونه* ، دراسة ونقد ، دار الفكر العربي ، ط6 ، 1976.
2. الأصفهاني، أبو الفرج، *الأغاني* ، تحقيق د.إحسان عبّاس، د.ابراهيم السّعافين، الأستاذ بكر عبّاس، المجلّد الأوّل،ص 62 دار صادر بيروت لبنان ، ط1 ، 1423هـ، 2002م.
3. الأندلسي ، ابن عبد ربه ، *العقد الفريد* ، شرحه وضبطه وصححه ورتب فهارسه ، أحمد الزّين وإبراهيم الإبياري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة، دت.
4. البستاني، د. محمود، *الإسلام والأدب* . . المكتبة الأدبية المختصة . قم إيران . 1422 هـ.
5. بلاشير، *تاريخ الأدب العربي* ، ترجمة: إبراهيم الكيلاني (دكتور) 3 / 252 ، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1974م.
6. الجابر ، د. محمود عبد الله ، *قراءة معاصرة في نصوص من التراث الشعري* ، ط1 ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد، 2002.
7. الحديثي ، د.بهجت عبد الغفور ، *دراسات نقدية في الشعر العربي* ، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1993.
8. حمود، د . ماجده، *علاقة النَّقد بالإبداع الأدبيّ*، منشورات وزارة الثّقافة في الجمهوريّة العربيّة السوريّة . 1997
9. الرفاء، السري بن أحمد، *المحب والمحبوب والمشموم والمشروب*، تحقيق : مصباح غلاونجي: صـ 6 ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، بدون تاريخ .
10. ضيف ، شوقي، *الشعر والغناء في المدينة ومكة*، الطبعة الرابعة، دار المعارف، دت.
11. العقاد، عباس محمود، *شاعر الغزل*، دار المعارف ، مصر ، 1964 .
12. غرانبرغر، بيلا، *النَّرجسية ، دراسة نفسيَّة*، ترجمة وجيه علي أسعد ، منشورات وزارة الثَّقافة دمشق، 2000.
13. فيصل ، د. شكري ، *تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام من امرئ القيس إلى ابن أبي ربيعة* ، ط4، دار العلم للملايين ، بيروت لبنان ، د ت .
14. قرني، د. عزت، *الذات ونظرية الفعل*، ط1 دار قباء للنشر القاهرة 2002م.
15. كامل ، د . لويس ، إسماعيل ، د. محمد عماد الدّين ، هنار ، د . عطية محمود ، *الشّخصية وقياسها* ، مكتبة النّهضة المصرية ، ط1 ، 1959.
16. مبارك ، د.زكي، *حب عمر بن أبي ربيعة وشعره*، الطبعة الرابعة ، منشورات المكتبة العصرية ، 1971 م .
17. محمد ، د. فايز ، *ديوان عمر بن أبي ربيعة*، الطبعة الثانية ، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان ، 1416 هـ 1996م.